گۆڤارا زانستێن مرۆڤایەتی یا زانکۆیا زاخۆ
مجلة العلوم الانسانية لجامعة زاخو
Humanities Journal of University of Zakho (HJUOZ)
Vol. 10, No. 1, pp. 136–146, March.-2022.
hjuoz.uoz.edu.krd
p-ISSN: 2664-4673
e-ISSN: 2664-4681
journals.uoz.edu.krd

الغزو الفرنسي لمصر وقيام التحالف العثماني ـ الروسي ـ البريطاني 1798–1799م

ابتسام خليل محمد[1*] و هوكر طاهر توفيق[1] و خليل علي مراد [2]

[1] قسم التاريخ ، فاكولتي العلوم الانسانية ، جامعة زاخو ، إقليم كوردستان – العراق.

[2] قسم التاريخ ، كلية الاداب ، جامعة صلاح الدين ، إقليم كوردستان – العراق.

تاريخ الاستلام: 2022/01 **تاريخ القبول:** 2022/02 **تاريخ النشر:** 2022/03 https://doi.org/10.26436/hjuoz.2021.10.1.822

الملخص:

كان الغزو الفرنسي لمصر سنة 1798م ، مرحلة أخرى من مراحل التنافس بين القوى الأوربية للاستحواذ على مناطق في الدولة العثمانية ، أو تأكيد نفوذها فيها ، في إطار ما عُرف باسم (المسألة الشرقية)، بل يرى بعض المؤرخين في الغزو الفرنسي لمصر بداية للمسالة الشرقية(Brown, 1984, PP.25–26). وقد أدى هذا الغزو إلى ردود فعل مباشرة من قبل ثلاث دول كانت معنية بالأمر في تلك الحقبة وهي : الدولة العثمانية ، صاحبة السيادة على مصر ، وروسيا القيصرية وبريطانيا ، لتعارض ذلك الغزو مع مصالحهما في المنطقة ، فضلاً عن عدائهما لفرنسا الثورية في أوربا . وقد أدت هذه المواقف في النهاية إلى قيام تحالف بين الدول الثلاث المذكورة . يهدف هذا البحث إلى دراسة عوامل قيام التحالف العثماني ـ الروسي ـ البريطاني ، وأهميته بالنسبة للدولة العثمانية في تلك المرحلة من تاريخها . ويتألف البحث من تمهيد يعرض باختصار الغزو والاحتلال الفرنسي لمصر ، وثلاثة محاور ، يتابع الأول منها الموقف العثماني المباشر من الغزو والاحتلال الفرنسي لمصر في صيف 1798م ، أما المحور الثاني فقد خصص لتسليط الضوء على ردود الفعل الروسية والبريطانية تجاه الغزو والاحتلال الفرنسي لمصر ، في حين خُصص المحور الثالث لدراسة قيام التحالف بين الدول الثلاث . وقد اعتمد البحث على العديد من المصادر الأساسية ذات العلاقة باللغات التركية والعربية والإنكليزية ، ومنها وثائق عثمانية من أرشيف رئاسة الوزراء في اسطنبول .

الكلمات الدالة: الدولة العثمانية، معركة أبو قير، بونابرت، روسيا القيصرية ، بريطانيا.

المقدمة

تمتعت مصر بموقع جغرافي مهم لوقوعها في الجزء الشمالي الشرقي من القارة الأفريقية ، وامتلاكها سواحل طويلة على البحرين المتوسط والأحمر ، وكان لهذا الموقع أهميته من الناحية الإستراتيجية ، فضلاً عن أهميته الاقتصادية لكونه على طرق التجارة الدولية بين جنوب شرق آسيا وأوربا من جهة ، وأفريقيا وآسيا من جهة ثانية. وبالإضافة إلى ما سبق كانت مصر بلداً زراعيا مهما وتنتج كميات كبيرة من الحبوب التي تجد طريقها إلى الأسواق الخارجية. إن هذه الأهمية تفسر تعرض مصر للاحتلال ألأجنبي مراراً منذ غزو الهكسوس في القرن الثامن عشر ق . م ولغاية الاحتلال البريطاني سنة 1882(Engel, 2017, P.26; Gunes, , P.86 2013–2014“ جمال، 1995، ص ص 690–691).

جاء الاحتلال الفرنسي لمصر في سياق الصراع الدولي في أوربا بين فرنسا الثورية من جهة وقوى التحالف الأوربي المناوئ لها ، والذي كانت بريطانيا والنمسا أبرز الأطراف المشاركة فيه . وقد ألحقت فرنسا هزائم بقوى التحالف في أوربا ، ولكنها عجزت عن توجيه ضربة إلى البريطانيين في عقر دارهم ، بسبب حصانة موقع الجزر البريطانية ، وامتلاك بريطانيا أسطولا بحريا كان هو الأقوى من نوعه في العالم في تلك المدة . ومن هنا اتخذت فرنسا قرار غزو مصر لتوجيه ضربة إلى المصالح البريطانية في الهند التي كانت تُعد أهم مستعمرات بريطانيا فيما وراء البحار (سيد،1989، ص62“ فهد، 2007، ص35). ولا شك أن رغبة فرنسا في تعزيز مكانتها الإستراتيجية في حوض البحر المتوسط من خلال احتلال مصر ، وتحويلها إلى مستعمرة فرنسية كان من بين دوافع الغزو والاحتلال الفرنسي لمصر أيضاً (فشر، 1964، ص53). أما الحجة التي قدمتها فرنسا للتغطية على دوافعها الحقيقية لاحتلال مصر فهي سوء معاملة المماليك الممسكين بزمام السلطة في مصر للتجار الفرنسيين المقيمون هناك (حنا، 2007، ص28).

اتخذت فرنسا قرار غزو مصر في 5 آذار 1798م ، وأمرت باتخاذ الإجراءات اللازمة لإعداد حملة عسكرية لهذا الغرض والتكتم عليها لئلا

* الباحث المسؤل.

تتسرب أخبارها إلى البريطانيين . وبعد أن استكملت الاستعدادات أبحر القسم الرئيس من الحملة من ميناء طولون الفرنسي في 19 أيار 1798م ، وانضمت إلى الحملة سفن تحمل قوات إضافية من أربعة موانئ أخرى ، وهي ميناء مرسيليا الفرنسي وميناء كورسيكا في جزيرة كورسيكا ، وميناءي جنوة وسفيتافيجيا في إيطاليا . وقد سُميت هذه الحملة الكُبرى باسم " جيش الشرق ـ L' Arme' de L' Orient "، وتختلف المصادر في تقدير حجم هذه الحملة الكبيرة (Çolak, 2008, P.148; Henty & Rainey, 1899, P.23)، التي أُسندت قيادتها إلى ضابط قدير هو نابليون بونابرت (1769 ـ 1815م) . وقد وصلت الحملة إلى جزيرة مالطة ، التي كانت تحت حكم فرسان مالطة [1]، في 9 حزيران 1798م ، واحتلتها في غضون 24 ساعة فقط ، وبعد مدة من الراحة والتزود بالمؤن والمياه واصلت الحملة سيرها في 19 حزيران نحو مصر ، ومع نهاية حزيران وصلت سفن الحملة قبالة ميناء الإسكندرية (شكري، 2013، ص ص84–86" لورنس، 1995، ص ص52–57). وفي ليلة 2/1 تموز تم إنزال حوالي 5000 رجل من قوات الحملة إلى البر على مسافة قريبة من الإسكندرية ، وعند الصباح بدأت عملية الهجوم على الإسكندرية من ثلاثة محاور.

وعلى الرغم من المقاومة التي أبداها سكان المدينة بقيادة حاكم الميناء السيد محمد كريم إلا أن الفرنسيين تمكنوا من احتلال المدينة بعد ساعات قليلة بسبب عدم تكافؤ القوة بين الجانبين إذ كانت دفاعات المدينة ضعيفة ، والذخائر قليلة ، أما الأسطول العثماني في الميناء ، والمؤلف من 3 سفن فقط فلم يكن ذو شان يذكر بسبب ضعفه(الحناوي، 1985، ص148).

وأعقب احتلال الميناء إنزال كل قوات الحملة الفرنسية وتجهيزاتها العسكرية ومدفعيتها ، كما أمر بونابرت بتعزيز دفاعات الميناء تحسباً لأي هجوم من جانب الأسطول البريطاني الذي كان يجول في البحر المتوسط بحثاً عن سفن الحملة الفرنسية(عوض، 2013، ص ص114–115).

بعد مضي عدة أيام على احتلال الإسكندرية بدأ تقدم القوات الفرنسية جنوبا نحو القاهرة لاحتلالها ، وقد واجهت تلك القوات مقاومة في سيرها من جانب قوات المماليك وأبناء الشعب المصري . وبغض النظر عن تفاصيل العمليات العسكرية استطاعت القوات الفرنسية احتلال القاهرة بعد معركة أمبابة ، أو معركة الأهرام ، في 21 تموز 1798، التي تم فيها إلحاق الهزيمة بقوات المماليك . وبعد أن استتب الوضع للفرنسيين في القاهرة أرسلوا حملات عسكرية لمطاردة القوات المملوكية التي انسحبت بقيادة الأمير مراد بك نحو الجنوب ، كما أرسلوا حملات إلى بقية أنحاء مصر لاستكمال احتلالها ، لكن العملية لم تكن سهلة وناجحة تماما بسبب المقاومة التي واجهتها القوات الفرنسية ، ولم يتمكن الفرنسيون من ترسيخ سيطرتهم تماماً على البلاد بسبب المقاومة المملوكية والمصرية لهم في مناطق مختلفة من مصر (عوض، 2013، ص ص209–219" لورنس، 1995، ص ص131–177).

أولًا: الموقف العثماني من الغزو والاحتلال الفرنسي لمصر:

من المعروف أن العلاقات العثمانية ـ الفرنسية كانت علاقات ودية منذ عقد معاهدة التحالف بين الدولة العثمانية وفرنسا سنة 1536 ، وما تبعها من اتفاقيات بين الدولتين حتى أواسط القرن الثامن عشر(Hershlag, 1980, PP.43–48). كما اعتمدت الدولة العثمانية على الخبراء العسكريين الفرنسيين في المجال العسكري في القرن الثامن عشر ، وتواصل هذا الاعتماد حتى بعد قيام الثورة الفرنسية سنة 1789 ، كما اعترفت الدولة العثمانية بالنظام الجمهوري في فرنسا سنة 1795 ، وتبادل الطرفان التمثيل الدبلوماسي (Firges, 2017, PP.51–57). وعلى أي حال ، بدأت العلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا تأخذ منحى آخر منذ أواخر سنة 1797 بعد عقد معاهدة كامبوفورميو بين فرنسا والنمسا في تشرين الأول من تلك السنة ، والتي أنهت الحرب بين الدولتين ، وحصلت فرنسا بموجبها على الجزر الأيونية [2]، وبعض مناطق دالماشيا على الساحل الشرقي من بحر الأدرياتيك ، وترتب على ذلك أن صارت فرنسا ، ولأول مرة في تاريخها ، بمثابة دولة مجاورة للدولة العُثمانية (صالح، 2002، ص60). ولم يكن هذا التطور لوحده مبعث قلق الأخيرة ، بل المساعي الفرنسية من أجل بث الدعاية القومية بين اليونانيين في شبه جزيرة المورة[3] ، أو بمعنى آخر تحريضهم ، وهذا ما أكدته التقارير الأولية التي كان يرسلها الوالي العُثماني حسن باشا من هناك (باشا، 1869، ص28). وما لبثت تقارير حسن باشا أن اتخذت طابعاً تحذيرياً أكثر من خلال إشارتها إلى نية بونابرت بسط سيطرة فرنسا على شبه جزيرة المورة وكريت . ومما دعم تلك التقارير وزاد من القلق في العاصمة اسطنبول المعلومات التي قدمتها السفارة الروسية في اسطنبول إلى الباب العالي ، التي أيدت وجود تلك النوايا لدى بونابرت وبحثت التدابير الاحترازية الواجب إتباعها لمواجهة المطامع الفرنسية (Karal, 1999,pp. 27–28.)

لم تمضِ سوى أشهر قليلة على هذه التطورات حتى وصلت إلى اسطنبول أخبار الحملة العسكرية التي يجري الإعداد لها في الموانئ الفرنسية ، وبأن من المتوقع أن يكون هدفها التعرض للأراضي العُثمانية . وقد توقعت الحكومة العُثمانية أن تستهدف تلك الحملة المناطق العُثمانية في روميلي [4] ، ولكن سرعان ما وردت الأخبار بأن إحدى الصحف الفرنسية رجحت أن تكون مصر بالذات هدف الحملة

الفرنسية (باشا ، 1871 ، ص ص 6 ـ 7) . والحقيقة أن هذه الأخبار أدت إلى مزيد من القلق وعدم الارتياح لدى السلطات العُثمانية في اسطنبول ، ويتبيَن ذلك من قيام " رئيس الكُتاب " ، أي مسئول العلاقات الخارجية في الدولة العُثمانية إلى استدعاء القائم بأعمال السفارة الفرنسية في إسطنبول بيير روفين Pierre Ruffin للتأكد منه عن مدى صحة تلك الأنباء ، وقد نفى روفين أن تكون مصر هدفاً للحملة الفرنسية ، وأضاف بعدم وجود أي معلومات لديه بهذا الخصوص ، (باشا، 1869، ص ص6–7)، وبان الغرض من الحملة استهداف بريطانيا(Çolak, 2008, P.146).

لقد كان روفين صادقاً في حديثه مع رئيس الكُتاب العُثماني ، إذ لم تكن لديه فعلا معلومات بهذا الصدد ، ومما يؤيد صحة كلامه أن وزير الخارجية الفرنسي تاليران كان قد كتب رسالة إلى روفين في 11 أيار 1798، أي قبيل إقلاع الأسطول الفرنسي من ميناء طولون، طالباً منه فيها إقناع السلطات العثمانية بعدم وجود نية لدى الحكومة الفرنسية للقيام بعمل عدواني ضد الدولة العثمانية، إلا أن الرسالة لم تصل إلى روفين إلا في 28 حزيران، أي عشية الإنزال الفرنسي في الإسكندرية تقريباً (هريدي، 2012، ص438)، ولم تصل رسائل من تاليران إلى روفين تشرح الموقف الفرنسي بالتفصيل إلا بعد احتلال القاهرة (Richmond, 2013, P.17).

من جهة أخرى سيد علي أفندي طلب السفير العثماني في باريس بين 1797 ـ 1802 ، والذي كان قد سمع بالأحاديث الدائرة في باريس عن الحملة وما نشر في الصحافة الفرنسة عنها ، مقابلة وزير الخارجية الفرنسي تاليران واستفسر منه عن الموضوع لكن وزير الخارجية الفرنسي نفى تلك الأخبار(HAT.143/5969/1. ; Gumus, 2013,s.253.). وتشير وثيقة عثمانية مؤرخة في 25 نيسان 1798 إلى أن السفير العثماني في فرنسا(السيد علي أفندي) قد بعث تقريراً إلى حكومته ذكر فيه أن الهدف المحتمل للحملة هو صقلية أو مالطة أو جبل طارق كما بعث السفير المذكور تقريراً أخر في 25 نيسان 1798، أشار فيه إلى أن الصحافة الفرنسية نشرت أخباراً غريبة مفادها أن الغرض من الحملة مساعدة والي صيدا احمد باشا ، والقيام بحملة مشتركة إلى مصر لإقامة مقر تجاري (تجارت خانة) هناك. وبأن حكومة الإدارة في فرنسا تريد إحياء مصر التي كانت منبع العلوم قبل 2000 سنة، وذكر في التقرير بأن تلك الشائعات لا أساس لها من الصحة، وتم تكذيبها من قبل المسئولين الفرنسيين ومنهم رئيس حكومة الإدارة، وقال إن هدف الحملة هو جزيرة صقلية (الدارندلي، 1998، ص21).

إن هذا النفي أدى إلى تهدئة مخاوف السلطات العثمانية نسبياً ، لكن الهواجس بقيت تنتاب تلك السلطات التي كانت تتوقع أن تكون الأراضي العثمانية مثل المورة وجزيرة كريت أو مصر من بين أهداف الحملة العسكرية أيضاً ، وليس بريطانيا وجزيرة مالطة فقط . وقد تيقنت الدولة العثمانية من مخاوفها عندما عملت بوجود من يعرفون العربية ولهم معرفة بشؤون البلاد العربية ضمن أفراد الحملة التي يجري إعدادها في ميناء طولون، ازدادت يقيناً أن الهدف المتوقع للحملة هو مصر أكثر من الروميللي(باشا، 1869، ص17). وفي هذا الشأن يقول الباحث إسماعيل سرهنك : " ولما اخذ نابليون يجهز الأساطيل البحرية في ترسانة طولون تطلعت الدول عموماً وشخصت بأنظارها إليه لمعرفة الجهة التي يقصدها بهذه العمارة العظيمة، ولما علموا أن ترسانة طولون تستخدم أناس لهم الماماً بالعربية علموا أن القصد من هذه الاستعدادات الإغارة على الأقطار المصرية "(سرهنك، 1312ه، ص ص7–8).

وكما تمت الإشارة سابقاً فإن الدولة العثمانية لم تقلل منذ وقت مبكر من خطورة ما يمكن حصوله وبادرت إلى اتخاذ بعض الإجراءات. فمع وصول أنباء تحضيرات الحملة العسكرية الفرنسية في ميناء طولون ، وما تردد من أخبار عن احتمال أن تكون مصر هدفاً للحملة ، تم عقد اجتماع حضره عدد من الوزراء والصدر الأعظم عزت محمد باشا (21 تشرين الأول 1794 ـ 23 تشرين الأول 1798) وتم فيه اتخاذ قرار بضرورة إرسال الأوامر بسرعة إلى القائمين على الأمور في مصر ليعملوا على تقوية المنشآت الدفاعية في مدن الإسكندرية ودمياط ورشيد إذ كان من الصعوبة إيصال الإمدادات إلى مصر عن طريق البر والبحر في الوقت المناسب . وقد تم تكليف أحمد أريب أفندي ، احد الكتاب العاملين لدى الباب العالي ، بإيصال تلك الأوامر بيده، إلا أن الوقت كان قد فات لأن الأسطول الفرنسي كان قد غادر ميناء طولون والموانئ الأخرى واستولى على جزيرة مالطة (باشا، 1869، ص ص7–8).

لقداستمرت الدولة العثمانية في تقصي أخباره الحملة الفرنسية عن كثب بعد إقلاعها من مينائي طولون ومرسيليا ، فقد استدعى احمد عاطف أفندي ففي يوم 19 حزيران 1798م استدعى رئيس الكتاب أحمد عاطف أفندي القائم بالأعمال الفرنسي روفين للاستفسار منه مجدداً عن هدف الحملة ، وكان رد روفين انه لا يعرف شيئاً عن الموضوع ، وإنه لم يصله شيء من حكومته بهذا الصدد (باشا ، 1871،صص 13_14 ;HAT.241/13534, 5.M.1213.). ومن جهة أخرى قابل السفير العثماني في باريس سيد علي أفندي وزير الخارجية الفرنسي تاليران مرة ثانية وتباحث معه حول نفس الموضوع ، لكن الأخير نفى أن تكون مصر هدف الحملة الفرنسية ، وادعى أن الهدف هو جزيرة مالطة ;T.C.Basbakanlik,2012,p.353 (Gumus,2013,p.254). ويبدو أن السفير العثماني قد اقتنع بما قاله وزير الخارجية الفرنسي ، إذ بعث تقريراً إلى إسطنبول ذكر فيه أن الفرنسيين ليست لديهم أطماع في شرقي البحر المتوسط . وقد وصل

هذا التقرير إلى السلطان سليم الثالث بعد ورود أنباء الغزو الفرنسي لمصر، فاستشاط غضباً وكتب على هامش التقرير المذكور واصفاً السفير المذكور بأنه :"لابد أن يكون حماراً " (Ginio, 2014, P.49).

حدثت التطورات السابقة في وقت حرج جداً بالنسبة للدولة العُثمانية إذ كانت تواجه مشاكل داخلية عديدة، ففضلاً عن الصعوبات الاقتصادية التي كانت تعاني منها بسبب الحروب الكبيرة التي خاضتها، وآخرها الحرب مع روسيا والنمسا بين 1787–1792، كانت القوات الانكشارية تخلق المشاكل والاضطرابات للدولة العُثمانية لأنها كانت تعارض محاولات سليم الثالث لإنشاء جيش حديث . وفيما عدا ذلك كانت الدولة العثمانية تعمل على إخماد حركات التمرد الداخلية ، ومن أخطرها تمرد عثمان باشا الملقب ببازوند اوغلي في سنة 1796، وكان قد نجح في كسب الكثير من الصرب إلى وتمكن من ان يستقل بولاية ودين[5]، في شمال غرب بلغاريا بعد أن طرد واليها العثماني ، ولم تتمكن الدولة العثمانية من قمع تمرده رغم توجيه قوات كثيرة ضده . وفي الوقت نفسه كانت الدولة العُثمانية تواجه تحدياً جديداً خطراً آخر في شبه الجزيرة العربية تمثل في ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب (1703 ـ 1791) في نجد و تحالفه مع آل سعود حكام الدرعية ، وبدء توسع نطاق النفوذ الوهابي ـ السعودي بحيث شمل نجد والإحساء، وأخذ يهدد بشكل مباشر سكان مناطق جنوب وغرب العراق وأطراف بلاد الشام(صالح، 2002، ص ص48–57).

يُفهم مما سبق أن الدولة العثمانية لم تكن في وضع يسمح لها بالقيام بأي عمل عسكري مهم ضد فرنسا لوحدها ، أو حتى إعلان الحرب عليها مباشرة . ولهذا السبب اكتفت في بداية الأمر باتخاذ سلسلة من التدابير والإجراءات الاحترازية تحسباً من قيام فرنسا بتوسيع نطاق أهداف حملتها العسكرية لتشمل مواقع أخرى على السواحل العثمانية في البحر المتوسط ، ومن بين تلك الإجراءات على سبيل المثال : إصدار تعليمات للسيطرة على حركة الملاحة عبر مضيق الدردنيل ، وإلغاء الُرخص الممنوحة للسفن الفرنسية للملاحة عبر المضايق التركية ، أو في المياه العثمانية (Gümüş, 2013, P.256). كما صدر

أمر سلطاني في 2 أب 1798 ، أي بعد شهر من الاحتلال الفرنسي لمصر ، إلى ولاة العديد من الولايات والسناجق في الأناضول والروميللي لجمع وإرسال بحارة للعمل في سفن الأسطول العثماني، الذي سيخرج إلى البحر المتوسط للدفاع عن المناطق التي تعرضت للعدوان الفرنسي . ويوجد في الأرشيف العُثماني باسطنبول أكثر من وثيقة تتضمن أوامر بهذا الخصوص ، وأهمها أمر سلطاني مؤرخ في 19 صفر 1213هـ / 2 آب 1798م إلى كل مناطق الأناضول والروميلي لجمع أولئك الرجال بموجب جدول يتضمن الأعداد المطلوبة من كل ولاية أو سنجق أوقضاء أو ناحية . وقد بلغ العدد الكلي المطلوب 2825 رجل، وكانت أقل حصة من ناحية بالاك آباد وهي 10 رجال ، وأعلى حصة من لواء قسطموني وهي 500 رجل) C.BH.200/9363, 19.S.1213. ; T.C. Basbakanlik, 2012,pp.359–363). وفي السياق نفسه أيضاً تم إرسال أمر إلى ولاة تونس وطرابلس الغرب (ليبيا) في صفر 1213هـ/ أواسط أب 1798، لترتيب عدة سفن قرصنة ، لغرض مهاجمة السفن الفرنسية، والاستيلاء على البريد الذي تنقله تلك السفن ، ومراقبة عدم مجيء أي سفينة فرنسية من طولون إلى ميناء الإسكندرية (C.BH.192/8276/1, S.1213).

وأجرت الحكومة العثمانية عدد من التغييرات في وقت لاحق في المناصب الإدارية في الولايات والجزر ذات الصلة في البحر المتوسط وبلاد الشام ، فقد تم تغيير والي المورة ومحافظ جزيرة قبرص. وفي بلاد الشام تم تعيين والي دمشق عبد الله باشا العظم والياً على إيالة مصر ليعمل على تحريرها من الاحتلال الفرنسي بالتعاون مع أمرائها، كم تم تعيين محصل[6] حلب السابق إبراهيم باشا واليًا على دمشق وأميرًا للحج. وعقدت الاجتماعات في الباب العالي وبالتحديد في مقر شيخ الإسلام (المفتي الأكبر) وتقرر في البداية إسناد منصب "سر عسكر مصر" ، أي القائد العسكري الأعلى ، إلى والي صيدا احمد باشا الجزار، ولكن وجد من غير المناسب أبعاده عن منصبه بسبب عدم الشعور بالاطمئنان من أهالي جبل لبنان (باشا، 1869، ص ص26–50) ، ولذلك تولى القيادة العسكرية العليا لاحقاً يوسف ضياء الدين باشا ، الذي تولى منصب الصدر الأعظم في الدولة العُثمانية بين 23 تشرين الأول 1798 ـــ 24 حزيران 1805.

أما الإجراء الآخر المهم فهو قطع العلاقات رسمياً مع فرنسا في 6 آب 1798، وفرض الإقامة الجبرية على القائم بأعمال السفارة الفرنسية (روفين) وهيئة السفارة ، وشمل هذا القرار أيضاً القناصل والرعايا الفرنسيين العاملين والموجودين في مختلف ولايات الدولة العثمانية ، ومنعهم من الاتصال بأحد أو العمل في التجارة ، ومصادرة سفنهم في الموانئ العثمانية ، واعتقال كل من يخالف هذه التعليمات منهم . وأرسلت هذه الأوامر إلى الولايات العثمانية المختلفة حيث جرت قراءتها على الناس ودخلت حيز التنفيذ [7]. وقد فسرت الحكومة العثمانية في البداية هذا الأجراء بأنه لحماية الدبلوماسيين والرعايا الفرنسيين من أي رد فعل انتقامي، نتيجة حالة الهياج والنقمة التي عمت البلاد بسبب الاحتلال الفرنسي لمصر(Gümüş, 2013, P.257).

رأى بعض رجال الدولة العثمانية وجوب الدخول في حرب مع فرنسا على الفور ، لكن السلطان سليم الثالث ، الذي غضب بشدة من احتلال مصر وقال :"إن الثأر من إهانة وغدر الفرنسيين لأهل الإسلام هو فرض عين على ذمتي العالية وهمت الملكية"(Demir, 2013, P.140)

، لم يكن مع دعاة إعلان الحرب مباشرة . لقد كان السلطان يرى ان على الدولة العثمانية إقامة تحالف مع دول الائتلاف الأوربي الذي يقاتل ضد فرنسا في القارة الأوربية (أوغلو، 1999، ص240)، وقد أثبت موقف السلطان هذا مدى بعد نظره ، وإدراكه لصعوبة انخراط الدولة العثمانية لوحدها في حرب ضد فرنسا في تلك المدة . كما عكس إدراكه بأن الاحتلال الفرنسي لمصر شكّل تهديداً لمصالح قوى أوربية مهمة ، وفي مقدمتها بريطانيا وروسيا القيصرية ، ولن تكون مهمة إقامة التحالف عسيرة مع تلك القوى .

ثانيًا: الموقف الروسي والبريطاني من الاحتلال الفرنسي لمصر:

كانت روسيا القيصرية وبريطانيا أيضاً تتابع باهتمام بالغ الغزو والاحتلال الفرنسي لمصر، وبصورة خاصة بريطانيا. فبالنسبة لروسيا القيصرية، التي تولى الحكم فيها القيصر بول الأول العرش بعد وفاة الإمبراطورة كاترين في سنة 1796، أراد القيصر الجديد أن ينأى ببلاده عن خوض الحروب الأوربية، ولكنه كان متخوفاً مما حصل من توسع فرنسي من قبل النظام الثوري في فرنسا، و من ازدياد قوة فرنسا في الجزء الشرقي من البحر المتوسط . وكان يرى أن وجود الفرنسيين في البحر المتوسط ، وبحر الأدرياتيك بصورة خاصة ، يمثل خطراً على الأطماع والمصالح الروسية في المنطقة ، وقد عدَ الروس تجميع القوات الفرنسية في ميناء طولون إشارة تهديد وشيك لبلادهم ، وعلى هذا الأساس تم وضع الأسطول الروسي في البحر الأسود في حالة استعداد قصوى(لورنس، 1995، ص240). وبالإضافة إلى هذا كان القيصر الروسي بعد نفسه الحامي لفرسان مالطة ، وقد غضب من إنهاء سلطتهم في مالطة بعد احتلال بونابرت للجزيرة وهو في طريقه لغزو مصر ، ولهذا السبب كان على استعداد للانضمام مباشرة إلى أي تحالف دولي ضد فرنسا وخطرها المتنامي (Neely, 2008, P.242).

وكانت بريطانيا بدورها العدو اللدود لفرنسا وفي حالة حرب مستمرة مع ضدها ، ولهذا السبب كانت مهتمة اكثر من روسيا بالغزو والاحتلال الفرنسي لمصر لأنه شكّل تهديداً مباشراً للمصالح البريطانية في الشرق بصورة عامة، والوجود البريطاني في الهند بصورة خاصة. وعلى هذا الأساس كانت الحكومة البريطانية تتابع كل التحركات العسكرية الفرنسية بما في ذلك موضوع استعدادات الحملة الفرنسية ، والتي علمت بها من خلال معلومات وردت في صحيفة (ايكو– Echo) التي كانت تصدر في باريس، إذ نشرت في أعدادها الصادرة بين 26 آذار– 4 نيسان 1798، أخباراً وتقارير لمراسلين عن الاستعدادات والأعمال الجارية في ميناء طولون ومرسيليا لإعداد وتجهيز أسطول كبير لحملة عسكرية مهمة جداً(Duffy, 1998, P.80).

ومن الجدير بالذكر أن مواقف وتفسيرات كبار المسئولين في الحكومة البريطانية لموضوع الغزو والاحتلال الفرنسي لمصر كانت متباينة، فعلى سبيل المثال ان اللورد كرانفيلLord Granville ، الذي كان وزيراً للخارجية وقتذاك، يرى أن الغزو الفرنسي لمصر :"تخبط استراتيجي، ويجب أن يُترك الجيش الفرنسي ليموت هناك مثل العنب الذي يجنى في الشمس ليجف"(Ingram, 1995, P.318) . كما أن مغادرة جيش فرنسي محنك إلى خارج أوربا كان موضع ارتياح بالنسبة لكرانفيل ، أي أنه نظر إلى الأمور من منظور الصراع في أوربا فقط ، ولذا كان متحمساً لإقامة تحالف يطرد الفرنسيين من هولندا أكثر من إقامة تحالف بريطاني – عثماني – روسي لإخراج الفرنسيين من مصر(Ingram, 1973, P.297) .

أما بالنسبة لهنري دنداس H.Dundas ، الذي كان يشغل منصب وزير الحرب في حكومة بريطانيا بين تموز 1794 وآذار 1810 (عمر، 2016، ص189) ، ورئيساً لمجلس السيطرة على الهند في الوقت نفسه ، فكان يختلف جذرياً عن موقف اللورد كرانفيل .ويرجع هذا الاختلاف غلى حقيقة أن دنداس نظر إلى الخطر الفرنسي من منظور المصالح البريطانية في الشرق عموماً، وفي الهند بصورة خاصة (Petry, 1998, P.120) ، وكان يرى أن الهند البريطانية هي الهدف النهائي للحملة الفرنسية المرتقبة (العابد، 1979، ص ص86–87)، وان الهند مهمة لبريطانيا إلى الحد الذي يتوجب على الحكومة البريطانية اتخاذ إجراءات فعَالة لمواجهة الخطر الفرنسي . وكانت نتيجة هذا الاختلاف في رؤية وزارة الخارجية ووزارة الحرب تجاه الخطر الفرنسي "اتخاذ خطوات صغيرة نسبياً فقط ، وليس بطريقة منسقة غالباً" (Petry, 1998, P.120). وعندما كانت فرنسا تقوم بإعداد الحملة العسكرية في مينائي طولون ومرسيليا ، قررت الحكومة البريطانية إرسال أسطول بريطاني إلى البحر المتوسط مهمته الأساسية متابعة تحركات الفرنسيين البحرية هناك، وإحباط مخطط الحملة الفرنسية الوشيكة ، إذ كانت الحكومة البريطانية تعتقد أن العملية الفرنسية تجري ضمن مخطط كبير هدفه الأساسي غزو البريطانيين في عقر دارهم ، أي بريطانيا نفسها(عمر، 2016، ص180).

كان الأسطول البريطاني متواجداُ في تلك المدة قرب ميناء قادس الإسباني المطل على المحيط الأطلسي إلى الشمال قليلاً من جبل طارق وكان يقوده الأدميرال إيرل سنت فنست جيرفس (Earl Saint Vincent Jervis) ، أما الهدف من تمركز الأسطول البريطاني هناك هناك فكان منع السفن الإسبانية من مغادرة مرافئها ، لأن اسبانيا كانت متحالفة مع فرنسا ضد بريطانيا في تلك المدة(Hargreaves–Mawdsley, 1973, PP.178–179)، وكذلك منع الأسطول الفرنسي المتجمع في طولون من الخروج من البحر المتوسط إلى المحيط

الأطلسي(عادل، 1959، ص97) لمنع أي تهديد لبريطانيا . وقد طلبت الحكومة البريطانية من جيرفس أن يختار ضابطاً من أسطوله لقيادة أسطول صغير من السفن في البحر المتوسط لمتابعة تحركات الأسطول الفرنسي هناك فوقع اختيار جيرفس على الضابط البحري هوراشيو نيلسون Horatio Nelson[8] . ومن المرجح أن هذا الاختيار تم أيضاً استناداً إلى كتاب ورد من البحرية البريطانية إلى جيرفس أشارت فيه إلى اختيار نيلسون بوصفه من ذوي الخبرة والدراية بالبحر المتوسط أكثر من غيره، ومشهود له بالكفاءة والنشاط . وكان الأسطول الذي قاده نيلسون يتألف من (14) سفينة حربية كبيرة ، وقد اجتاز مضيق جبل طارق إلى البحر المتوسط في 9 أيار 1798م ليبدأ مهمته هناك . وقد حصل نيلسون فعلاً على بعض المعلومات عن الحملة العسكرية الفرنسية ، إلا انه لم يحصل على معلومات بخصوص الهدف الذي تقصده تلك الحملة (شكري، 1942، ص ص156– 157).

الحقيقة أن متابعة أو تقصي تحركات سفن الحملة الفرنسية في البحر المتوسط يلم تكن بالمهمة السهلة بالنسبة لنيلسون إذ كان قائد تلك الحملة بونابرت حريصاً على عدم تمكين البريطانيين من متابعة أسطول الحملة الفرنسية من خلال اتخاذ مسارات لا يتوقعها العدو ، وقد تمكن فعلاً من الوصول بحملته إلى مصر واحتلالها سنة 1798م . وبعد أن علم البريطانيون بما حصل توجه أسطول نيلسون نحو ميناء الإسكندرية حيث تمكن من توجيه ضربة موجعة لسفن أسطول الحملة الفرنسية الراسية هناك وذلك في مطلع آب 1798 ، أي بعد شهر من بدء الاحتلال الفرنسي لمصر . وقد عُرفت تلك المعركة باسم معركة أبو قير نسبة إلى خليج أبو قير الذي كانت السفن الفرنسية راسية فيه بالقرب من الإسكندرية ، وكانت نتيجة المعركة إحراق وإغراق عدد منها والاستيلاء على عدد آخر أيضاً قد هاجم أسطول نيلسون السفن الحربية الفرنسية الراسية في خليج أبو قير ، على مقربة من ميناء الإسكندرية ، وأحرق وأغرق عدداً منها ، واستولى على عدد آخر منها أيضاً (Harrison, 1806, PP.279–296).

كانت معركة أبو قير، التي وصفها نيلسون بأنها :"ليست نصراً وحسب، بل فتحاً " (Lockhart, 1835, P.138)، من المعارك الفاصلة في التاريخ من حيث نتائجها، فقد بددت أحلام بونابرت وأحبطت خططه فيما يتعلق بتحويل مصر إلى مستعمرة فرنسية، أو توجيه ضربة إلى الوجود البريطاني في الهند. ومن جهة أخرى أثرت على موقف قوات الاحتلال الفرنسية في مصر من خلال قطع طرق وصول أي إمدادات أو دعم من فرنسا بسبب الحصار الشديد الذي فرضه الأسطول البريطاني على السواحل المصرية، مما اضعف مركز الفرنسيين في مصر بصورة كبيرة ، ولذا حاول نابليون التكتم على أخبار هزيمة معركة أبو قير البحرية بين المصريين (عبدالرحيم، 1998، ص24)

ومن بين النتائج المهمة لمعركة أبو قير أيضاً ما تركته من تأثير واضح على سياسة الدولة العثمانية، وخصوصاً في تصعيد موقفها تجاه فرنسا من باتخاذ قرار إعلان الحرب عليها في 2 أيلول 1798(أوزتونا، 1988، ص58). وفي 5 أيلول 1798 تم جلب القائم بأعمال السفارة الفرنسية روفين إلى الباب العالي حيث تم إبلاغه بقرار إعلان الحرب على بلاده (باشا، 1869، ص58). وتم تبليغه أيضاً بأمر اعتقاله واعتقال الرعايا الفرنسيين في الدولة العثمانية ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم، وقد تم إيداع القائم بالأعمال الفرنسي روفين ومن معه من هيئة السفارة الفرنسية في سجن "يدي قوله". وفي يوم 9 من الشهر نفسه تم إبلاغ السفارات الأجنبية بقرارات إعلان الحرب على فرنسا، واعتقال روفين وهيئة السفارة الفرنسية لأن هذا الإجراء مهم ، حسب قول السلطات العُثمانية ، لضمان سلامة السفير العثماني في باريس. أما اعتقال الفرنسيين ومصادرة أموالهم فهو بمثابة رد فعل على ما قام به الفرنسيون في مصر، وبان روفين وهيئة السفارة سيبقون في سجن (يدي قوله) لحين مبادلتهم بالسفير العثماني وهيئة السفارة في باريس، أما القناصل والتجار فسوف يتم إطلاق سراحهم بعد رفع السلطات الفرنسية اليد عن المراكب التي استولت عليها، وإطلاق سراح الجنود والتجار العثمانيين في مصر(Gümüş, 2013, P.258).

ثالثًا: قيام التحالف العثماني ـ الروسي ــ البريطاني:

شهدت المدة التي أعقبت معركة أبو قير البحرية عملية تكثيف الاتصالات والمحادثات بين الدولة العثمانية من جهة وروسيا القيصرية وبريطانيا من جهة أخرى في سبيل إقامة تحالف عسكري ضد فرنسا . والواقع أن الاتصالات الأولى بشأن هذا الموضوع كانت قد بدأت قبل معركة أبو قبر بمدة من الزمن بمبادرة من روسيا القيصرية وبريطانيا أيضاً. فعندما بدأت التحضيرات الحربية في ميناء طولون اعتقد القيصر بول أن هدفها هو مهاجمة المورة أو سواحل ألبانيا، ولذلك قرر وضع سفن الأسطول الروسي في البحر الأسود في حالة تأهب ، وفي الوقت نفسه ابلغ الباب العالي بواسطة السفير الروسي في إسطنبول بأنه سيضع هذا الأسطول في خدمة العثمانيين إذا تعرضت سواحلهم لهجوم فرنسي . وبعد احتلال مالطة ومصر من قبل الفرنسيين شعرت روسيا القيصرية وبريطانيا بمدى الضرر الذي أصاب مصالحهما في البحر المتوسط للضرر. وهكذا أصبحت هناك مصلحة مشتركة بينهما وبين الدولة العثمانية لاتخاذ موقف موحد وقوي ضد فرنسا ، ومن هنا بدأت المفاوضات منذ 28 تموز 1798 بين الدولة العُثمانية وروسيا القيصرية للوصول إلى تفاهم ، وقبل التوصل إلى نتيجة وصل نباً وصول الأسطول الروسي في البحر الأسود إلى مضيق البسفور بأمر من القيصر، وإزاء هذا الأمر الواقع سمحت الدولة العثمانية بعبوره المضيق والرسو في بيوك دره Buyuk Dere في 5 أيلول. ومنذ ذلك التاريخ أضحت المفاوضات بين باسيل تامار السفير الروسي في إسطنبول، وإبراهيم

عصمت بك وهو صدر أعظم عثماني سابق، تتركز على موضوعين أساسيين ، الأول تحركات الأسطول الروسي والثاني عقد معاهدة صداقة وتحالف عُثمانية ــ روسية ، ولنفس الغرض تم في 9 أيلول إرسال الأسطول الروسي مع الأسطول العثماني إلى البحر المتوسط بهدف حماية سواحل المورة وألبانيا واسترداد الجزر اليونانية. كما بذل السفير البريطاني في إسطنبول سبنسر سميث مساعي حثيثة لعقد معاهدة الصداقة والتحالف العُثمانية ــ الروسية التي جرت المفاوضات بشأنها بمشاركته أيضاً، واختتمت تلك المفاوضات بعقد معاهدة صداقة وتحالف بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية في 23 كانون الأول 1798(Karal, 1999, P.31; Turkey, 1855, P.520).

كانت مدة معاهدة التحالف بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية ثمانية سنوات، وقد وقعها كل من رئيس الكُتاب احمد عاطف أفندي عن الجانب العثماني، وباسيل تامارا سفير روسيا القيصرية لدى إسطنبول عن الجانب الروسي. وقد أشارت المادة الأولى منها بأن الحلف دفاعي وسيكون للقوتين في المستقبل نفس الحلفاء ونفس الأعداء، كما أكدت المادتين الثانية والثالثة على ان الغرض من التحالف هو الحفاظ على ممتلكات روسيا القيصرية والدولة العثمانية، وليس محاولة التوسع وذلك حرصاً من الطرفين على حفظ التوازن الدولي، وتأييد السلام في أوربا. واتفق الطرفان الموقعان على المعاهدة أيضاً على دعوة الدول الأخرى كالنمسا وبريطانيا وبروسيا للانضمام إليها، وتعهدت روسيا من جانبها بوضع (12) سفينة حربية روسية تحت تصرف السلطان العثماني للدفاع عن العاصمة إسطنبول. وإذا تطلب تطور الأحداث تعزيز القوات العثمانية فإن روسيا القيصرية تمدها بقوات برية يتراوح عددها بين (75) و (80) ألف جندي روسي، كما تعهدت الدولة العثمانية –هذه المرة فقط– وفي مقابل هذه المساعدات العسكرية الروسية منح السفن الحربية الروسية بحق المرور عبر مضيقي البسفور والدردنيل مروراً حراً(Karal, 1999, P.32; Turkey, 1855, PP.517–520" عادل، 1959، ص115).

وبالتزامن مع المفاوضات الروسية – العثمانية جرت مفاوضات بريطانية – عثمانية أيضاً من اجل تعاون الدولتين رداً على الاحتلال الفرنسي لمصر. فمنذ أواخر تموز 1798 أجرى السفير البريطاني في إسطنبول سبنسر سميث محادثات مفصلة مع احمد عاطف أفندي بخصوص بنود تحالف محتمل ضد فرنسا، وبينما كانت الحادثات جارية بين الدولتين وافقت البحرية البريطانية في أيلول 1798م على إرسال الكابتن سيدني سميثSidney Smith، شقيق السفير البريطاني في الدولة العُثمانية ، إلى إسطنبول للتعاون مع الأسطول العثماني في شرقي البحر المتوسط، مع منحه حقوقاً دبلوماسية تخوله الاشتراك مع شقيقه في المفاوضات الجارية مع العثمانيين. وفضلاً عن ذلك أرسلت الحكومة البريطانية بعثة عسكرية صغيرة بقيادة الجنرال كوهلر General kohler لغرض تقديم المشورة والمساهمة في تدريب وحدات الجيش العثماني، وتقديم المساعدات له كي يتمكن من القيام بالحملة العسكرية التي كانت الدولة العُثمانية تعمل على إعدادها لإرسالها إلى مصر لطرد الفرنسيين من هناك(Petry, 1998, P.121" عادل، 1959، ص115).

انتهت المفاوضات بإعداد اتفاقية عثمانية – بريطانية تم توقيعها في إسطنبول في 5 كانون الثاني 1799، من قبل عصمت بك واحمد عاطف من جهة، والسفير البريطاني في إسطنبول سبنسر سميث وشقيقه سدني سميث من جهة أخرى(Turkey, 1855, P.762)، وتألفت الاتفاقية من (13) مادة، وصرحت في بدايتها بانضمام بريطانيا إلى المعاهدة العثمانية – الروسية أيضاً ، ولهذه المعاهدة خصوصية تكمن في المادة (13) لأنها نصت على إغلاق الدولة العُثمانية كل موانئها على البحر المتوسط أمام الفرنسيين، وإعداد قوة من (13000) رجل لإخراج الفرنسيين من مصر، وبالمقابل تقدم بريطانيا دعماً بحرياً وعسكرياً لإخراج الفرنسيين من مصر(Karal, 1999, PP.35–36) . ويمكن القول أن هذه المعاهدة كانت مؤشراً على حدوث تغيير في السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية من خلال الالتزام بالحفاظ على وحدة وسلامة أراضي هذه الدولة ، بعد أن كانت العلاقات بينهما علاقات تجارية بحتة في السابق، والمصالح التجارية هي التي تحدد السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية . إن سياسة المحافظة على وحدة أراضي الدولة العثمانية من جانب بريطانيا ستصبح سمة أساسية من سمات السياسة البريطاني لغاية مؤتمر برلين 1878(عودة، 1999، ص53).

إن التحالف الثلاثي العُثماني ــ الروسي ــ البريطاني الذي اكتمل قيامه ضد فرنسا في بداية سنة 1799 كان بداية لمرحلة جديدة من العمل العسكري لإخراج الفرنسيين من مصر . وعلى الرغم من أن التحالف كان ثلاثياً ، لكن بقدر تعلق الأمر بالعمليات العسكرية ضد الفرنسيين في مصر ، فإن الدولة العثمانية وبريطانيا تولتا هذه المهمة أساساً ، من دون أية مساهمة روسية . والواقع أن القيصر الروسي بول غيَر موقف بلاده من فرنسا لاحقاً إذ لم يرغب في مواصلة الحرب ضد فرنسا ولذا عقد معها صلحاً في تشرين الأول سنة 1801 (Hale, 2013, PP.15–16).

الخاتمة

كان الغزو والاحتلال الفرنسي لمصر سنة 1798 حدثاً مهماً ، ليس في تاريخ مصر وحدها ، بل في تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها مع القوى الأوربية أيضاً . وقد ادى ذلك الحدث إلى ردود فعل مباشرة من قبل

الدول المعنية بالموضوع وهي " الدولة العثمانية وروسيا القيصرية وبريطانيا، فالدولة العثمانية كانت معنية مباشرة بالموضوع ، لأن مصر كانت ولاية مهمة من الولايات العثمانية ، على الرغم من كون السلطة الفعلية هناك بيد المماليك . وقد اتخذ السلطان سليم الثالث (1789 _1807) سلسلة من الإجراءات الاحترازية في مواجهة ذلك الغزو ، لكنه كان يدرك أيضاً أن الدولة العثمانية لا يمكنها الدخول لوحدها في حرب مع الفرنسيين في مصر ، ولذلك سعى إلى إقامة تحالف مع القوى الأوربية المعادية لفرنسا .

لم تكن مهمة إيجاد حلفاء أوربيين مسألة صعبة بالنسبة للدولة العثمانية ، لأن الغزو والاحتلال الفرنسي لمصر كان يتعارض أيضاً مع مصالح بعض القوى الأوربية المهمة مثل روسيا القيصرية وبريطانيا . فقد استاءت الأولى من توسع النفوذ الفرنسي في البحر المتوسط وبحر الأدرياتيك لأن ذلك يتعارض مع مصالح روسيا وأطماعها هناك ، كما أن استيلاء بونابرت على جزيرة مالطة التي كانت تحت حكم فرسان القديس يوحنا كان عاملا آخر وراء استياء روسيا ، لأن قيصر روسيا كان يعد نفسه الحامي لهم . أما بريطانيا ، العدو الأول لفرنسا في تلك المدة ، فقد شعرت بأن الفرنسيين لن يتوقفوا عند احتلال مصر ، بل أن هدفهم النهائي توجيه ضربة إلى الوجود الاستعماري البريطاني في الهند . وعلى خلفية هذه الأسباب مجتمعة عقدت الدولة العثمانية معاهدة تحالف مع روسيا القيصرية في كانون الأول 1798 ، ومع بريطانيا في كانون الثاني 1799. وكان هذا التحالف ، وخاصة مع بريطانيا ، أمرا أساسيا لإخراج الفرنسيين من مصر لاحقا.

الهوامش

[1]فرسان مالطة The knight of Malta يرجع تاريخ ظهور فرسان مالطة إلى القرن الحادي عشر الميلادي عندما تأسس كتنظيم أو طريقة ذات طابع ديني باسم تنظيم القديس يوحنا Order of st. john قبيل استيلاء الصليبيين على بيت المقدس في 1099م, ولم نمض مدة طويلة حتى وُضع فرسان مالطة تحت راية الكنيسة الكاثوليكية في روما ومنحه صلاحية اختيار رؤسائه بموجب مرسوم بابوي صادر في 1113م . ومن الجدير بالذكر أن واجبات هذا التنظيم في البداية كانت رعاية الجرحى والمرضى ومن هنا جاءت تسميتهم الثانية وهي الاسبتارية (Hospitaller) أي الممرّضين أو المطبّبين. وبعد خمس سنوات على صدور المرسوم البابوي السابق ذكره اكتسب تنظيم فرسان مالطة طابعاً عسكرياً أيضاً في 1118م . وبعد انتهاء الاحتلال الصليبي لمدينة عكا سنة 1291 استقر فرسان مالطة في قبرص بين 1291–1311, ثم في جزيرة رودس في شرق البحر المتوسط ، ومن هنا جاءت تسميتهم باسم (فرسان رودس) أيضاً . وبعد ان سيطر العثمانيون على رودس في 1522 رحل فرسان رودس إلى قنديه في جزيرة كريت. ثم استقروا في جزيرة مالطة التي أصبحت موطناً لهم منذ سنة 1530م , وصاروا يعرفون باسم (فرسان مالطة), واستمر وجودهم في هذا المكان حتى 1798م عندما استولى نابليون بونابرت عليها وهو في طريقه لاحتلال مصر. للمزيد من التفاصيل ينظر: (Porter, 1883, PP. 1-668)

[2]الجزر الايونية، وتعرف ايضاً باسم (Septinsula) ، وتقع قبالة الشاطئ الغربي لليونان، وتمتد في اتجاه جنوب شرق من كورفو Corfu إلى جزيرة باكسوس Paxos والجزر الخمس التي تُشكِل الجزر الايونية هي ، زانتة Zante وسيفالونيا Cephalonia وايثاكا Ithaca وسانتامارتا Santa maura وسيركو Cerigo (Paschalidi, 2009, P.62).

[3]المورة، او شبه جزيرة المورة Morea وتعرف أيضاً باسم بلوبونيز ، وهي تابعة لليونان و تقع في القسم الجنوب الغربي ويفصلها عنها مضيق كورنث, وقد بدأت الغارات العثمانية عليها في عهد مراد الأول (1359–1389) وفي عهد السلطان بايزيد الأول (1389 ــ 1402) قبل يونانيو المورة السيادة العثمانية، ودفعوا الجزية لسلاطين الدولة العثمانية، وبعد معركة فارنا سنة 1444, أصبحت المورة دولة أو ولاية تابعة Vassal state للدولة العثمانية, وفي عهد السلطان محمد الفاتح (1451– 1481) تم فتحها وإلحاقها بالدولة العثمانية (Gundegdu,2012,P.2).

[4]الروميللي: او روم ايلي, تسمية كانت تطلق على القسم الأوربي من الدولة العثمانية الذي كان يشمل معظم منطقة البلقان في جنوب شرق اوربا. كما أن هذه التسمية أُطلقت على وحدة إدارية عثمانية باسم ايالة (أي ولاية) الروميلي ، وكانت هذه الأيالة تتألف في سنة 1530 من منطقة الروميللي ، تراقيا ومقدونيا والبوسنة والهرسك والبانيا وكوسوفو وقره داغ (الجبل الأسود) وكل بلغاريا ورومانيا ومولدافيا وغيرها من المناطق. وقد تعرضت الحدود الإدارية لهذه الإيالة إلى تغييرات بحيث صارت في القرن التاسع عشر ولاية تتالف من أربعة سناجق (الوية) وهي مناستر ، اشقوردة، اوفرى، كسرية (موستراس، 2002، ص22).

[5]ولاية ودين, Vidin " جاءت تسمية هذه الولاية نسبة إلى مدينة ودين الواقعة على ضفاف نهر الدانوب في شمال غرب بلغاريا, وكانت ولاية ودين من بين الولايات العُثمانية في البلقان ، وتألفت أولاً من سنجقين (أو لواءين) هما: ودين ولوفجة ، وعندما صدر قانون الولايات العُثماني الجديد في سنة 1864م أُعيد تنظيم الولايات في الدولة العُثمانية إذ تم توحيد ولايات سيلسترة ، ودين، اسكوب ونيش في ولاية واحدة فقط باسم ولاية الدانوب أو ولاية الطونة (طونه ولايتي) باللغة العُثمانية (Turhan, 2014, P.200).

[6]محصل :مأخوذ من كلمة "تحصيل" العربية,ولذا كان المحصل يعرف ب"تحصيلدار" أو "محصل الأموال",وهو الشخص المكلف بالاشراف على جباية الضرائب والرسوم العائدة للدولة في الولايات المختلفة.وحتى القرن الثامن عشر كان الوزراء والصدور العظام الذين تنتهي مدة وظيفتهم يعينون في هذه الوظيفة في السنجق(الألوية) والولايات,ولكن بعد ذلك صارت تعهد الى بعض الأسر المحلية البارزة هناك (Islam Ansiklopidisi, 2006, ss.18-20)

[7]وردت إشعارات من نواب الشرع (أي القضاة) من مناطق مختلفة من الدولة العثمانية بخصوص الأمر الصادر بحق الرعايا الفرنسيين في الدولة العثمانية وقراءته علناً، وتسجيله في سجل المحكمة الشرعية للعمل بموجبه، واعتقال الموجودين منهم في بعض المناطق، ومصادرة أموالهم (عدا الألبسة) وتسجيل وتثبيت الأموال المصادرة للمحافظة عليها ومنها على سبيل المثال، إشعار ورد من قضاة فازداغي وصندرغي وادرميد وقاضي قندية (أي كريت) في 21 ربيع الأول ه/1213 / الموافق 2 أيلول 1798م وقضاة برغمه وازمير وقوجه لي في 29 ذي الحجة 1213ه/ الموافق 3 حزيران 1799م، ومن قاضي كول حصاري في 19 ربيع الآخر 1213ه /الموافق 20 أيلول 1798م، ومن قاضي الموصل في 11 جمادي الأولى 1213ه/ الموافق 21 تشرين الاول 1798م، ومن بين الوثائق أيضاً وثيقة مؤرخة في 29 جمادي الأولى 1213ه / الموافق 29 تشرين الأول عن اعتقال نائب القنصل الفرنسي في كريت ومترجمه واثنين من الرعايا الفرنسيين, وسجنهم . ينظر: أرشيف رئاسة الوزراء

في إسطنبول، الوثائق المرقمة،
AE.ssLM.111, 118/7167. (27.Ra.1213).; AE.SSLM.111,118/7168 (27.Ra.1213).; AE.SSLM 111,277/15999. (21.Ra.1213).; AE.SSLM. 111,277 /16020. (21.Ra.1213).; AE.SSLM. 111,161/9653. (29.Z.1213).; AE.SSLM.111,18/1053. (29.Z.1213).; AE.SSLM. 111,00118/001. (19.R.1213).; C.HR, 121/6023. (11.Ca.1213); C.BH, 123/5946/5. (29.Ca.1213); HAT.147/5861/3.

ومن الجدير بالذكر أن هذا القرار لم يشمل الكنائس والرهبان الفرنسيين في القدس وفي غلطة في إسطنبول، وقد اصدر السلطان فرامين لمراعاة هذا الأمر، وكان ذلك مدعاة للشكر والتقدير من قبل السفراء الأجانب في إسطنبول (عاصم، 1274ه، ص133).

[8]اللورد هوراشيو نيلسون Horatio Nelson (1758– 1805) ، قائد بحري بارز في الأسطول البريطاني في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، وقد حقق شهرة واسعة في التاريخ بسبب إنجازين عسكريين مهمين جداً أثناء عمله في الأسطول البريطاني وهما " تحطيم أسطول الحملة الفرنسية على مصر في العركة الشهيرة التي وقعت في خليج أبي قير قرب ميناء الإسكندرية في آب 1798، أما الإنجاز الثاني فهو معركة الطرف الأغر Tarafalgar التي جرت عند سواحل إسبانيا يوم 21 تشرين الأول 1805 والحق فيها الأسطول الذي كان يقوده نيلسون هزيمة كبيرة بالأسطولين الفرنسي والإسباني , وهي المعركة التي خسر فيها حياته أيضاً . للمزيد من التفاصيل عن سيرته ودوره العسكري (Connadine, 2005, PP.7-29) .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً ـ الوثائق غير المنشورة (أرشيف رئاسة الوزراء ـ اسطنبول):

1 – AE.SSLM.111,00118/001. 19. Ra.1213.
2 - AE.SSLM.111,161/9653. 29.Z.1213.
3 - AE.SSLM.111, 277/ 15999, 21.Ra.1213.
4 – AE.SSLM.111,277/16020. 21.Ra.1213.
5 – C.BH.123/5946/5. 29. Ca. 1213.
6 – C.BH.192/8276/1. S. 1213.
7 – C.BH.200/9363. 19.S.1213.
8 – C.HR.121/6023. 11.Ca.1213.

ثانيًا: الوثائق المنشورة:

1. T.C. Basbakanlik Devlet Arsivleri Mudurlugu, Osmanli Arsiv Daire Bakanligi, Osmanli Belgelerinde Misir (Istanbul – 2012)

ثالثًا: الكتب.

أ: باللغة العربية والمترجمة

1. الدارندلي، عزت حسن أفندي. (1998) الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني: مخطوطة "ضيانامه"، دراسة وتحقيق وترجمة: جمال سعيد عبد الغني، القاهرة، لبهيئة المصرية العامة للكتاب.
2. أوزتونا، يلماز. (1988) تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، ج1، إسطانبول، مؤسسة فيصل للتمويل.
3. أوغلو، أكمل الدين إحسان. (1999) الدولة العثمانية: تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح السعداوي، استانبول، أرسيكا.
4. باشا، أحمد جودت. (1869) جودت تاريخي، ج6، إسطنبول، دار الطباعة العامرة.
5. حمدان، جمال. (1995) شخصية مصر –دراسة في عبقرية المكان– ،ج2، القاهرة، دار الهلال.
6. خوري، أميل وإسماعيل، عادل. (1959) السياسة الدولية في المشرق العربي، من الثورة الفرنسية 1789 إلى مؤتمر فينا 1815، ج1، بيروت.
7. العابد، صالح محمد. (1979) موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي 1798–1810، بغداد، مطبعة العاني.
8. سرهنك، إسماعيل. (1312ه) حقائق الأخبار عن دول البحار، ج1، ط1، القاهرة، المطبعة الأميرية ببولاق.
9. سالم، سيد مصطفى. (1989) نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية، ط2، صنعاء، مركز الدراسات اليمنية.
10. شكري، محمد فؤاد. (1942) الحملة الفرنسية وظهور محمد علي، القاهرة، مطبعة المعارف.
11. شكري، محمد فؤاد. (2013) الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، القاهرة، دار الفكر العربي.
12. عاصم، عينتابي احمد. (1274ه) عاصم تاريخي، ج1، إسطنبول، جريدة حوادث مطبعه سي.
13. عودة، محمد. (1999) الحملة الفرنسية على مصر: نحتفل أولاً نحتفل، القاهرة.
14. عوض، أحمد حافظ. (2013) نابليون بونابرت في مصر، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
15. فشر, هربرت. (1964) تاريخ أوربا في العصر الحديث، ترجمة: وديع الضبع وهاشم محمد نجيب، ط6، مصر.
16. موستراس، س.(2002) المعجم الجغرافي للامبراطورية العثمانية، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحادات بيروت، دار ابن حزم.
17. لورنس، هنري وآخرون. (1995) الحملة الفرنسية في مصر: نابليون والإسلام، ترجمة: بشير السباعي، ط1، القاهرة، سينا للنشر.
18. هريدي، صلاح أحمد. (2012) تاريخ مصر الحديث والمعاصر 923–1220ه/1517–1805م، الجيزة، عين للدراسات والبحوث الانسانية والإجتماعية.

ب: باللغة الإنكليزية والتركية

1. Brown, L. C. (1984) In International politics and the Middle East : old rules, dangerous game (pp. pp25-26). Princeton, N.J.: Princeton University Press.
2. Connadine, David. (2005) Admiral lord Nelson: context and legacy, Palgrave Macmillan;2005th edition, London.
3. Çolak, K. (2008) Mısır'ın Fransızlar Tarafından İşgali ve Tahliyesi (1798-1801) The Occupation and Evacuation of Egypt by the French (1798-1801). Sakarya Üniversitesi Fen Edebiyat Dergisi, 10(2), pp141-183. Retrieved from https://kutuphane.dogus.edu.tr/mvt/pdf.php?lng=1&search=&articlelng=&fieldnu=0&sortnu=0&sortdir=0&access=catalog&pdf=0008593&journalbg=*&-max=20&-skip=0
4. Demir, Y. (2013) XIX. Asır Türk-Fransız İlişkilerinde Dönüm Noktası: Napolyon'un Mısır'ı

21. Porter, Whitworth.(1883) A History of the knights of Malta, or the Order of st. John of Jerusalem, revised edition, (London).
22. Richmond, J. C. B. (2013) Egypt, 1798-1952 (RLE Egypt): Her Advance Towards a Modern Identity: Taylor & Francis.
23. Turhan, Fatma sel. (2014) The Ottman Empire and the Bosnian uprising (London, I.B. Tauris, 2014) p.200.
24. Turkey. (1855) Treaties Between Turkey and Foreign Powers. 1535-1855.

رابعًا: الرسائل والأطاريح

أ: أطاريح الدكتوراه

1. undegdu, Birol. (2012). Ottman constructions of the Morea Rebellion, 1770, A Comprehensive study of Ottman Attitudes to the Greek uprising. (PH.D. thesis), University of Toronto.
2. Engel, M. N. (2017). Ottoman Egypt in the mid eighteenth century- Local Interest Groups and Their Connection with and Rebellions against the Sublime Porte and Resistance to State Authority. (P.h.D thesis), The University of Birmingham, Birmingham. Retrieved from https://etheses.bham.ac.uk/id/eprint/7803/1/Engel17PhD.pdf
3. Paschalidi, Maria.(2009). Contructing Ionian Identities: the Ionian Islands in British official Discourses 1815-1864. (Ph.D. thesis), University College London.

ب: رسائل الماجستير

1. الحناوي، محمد عبد الحميد (1985) الإسكندرية في عهد الحملة الفرنسية 1798–1801م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، المنيا.
2. حنا, إطلال سالم. (2007) مصر في سنوات الاحتلال الفرنسي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، موصل.
3. عبد الشبرم، فهد عويد. (2007) سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية 1798–1809، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، بابل.
4. آل صالح، عباس عبد الوهاب. (2002) السلطان العثماني سليم الثالث وتجربته الإصلاحية 1789–1807، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، موصل.

خامسًا: البحوث والمقالات

أ: اللغة العربية:

1. عمر، يوسف حسين. (2016) الصراع الفرنسي_البريطاني على مالطة 1798–1801، مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية)، المجلد العشرون، العدد الثاني يناير 2016.

ب: اللغة التركية:

1. slam Ansiklopidisi, TDV. (2006), cilt. 31, Istanbul.
İşgali ve Sonrası Oluşan Diplomatik Durum. Instıtut Prive Buhara de France Müdürü, 3(5), pp 130-146. Retrieved from https://dergipark.org.tr/tr/download/article-file/59649
5. Duffy, M. (1998) British Naval Intelligence and Bonaparte's Egyptian Expedition of 1798. The Mariner's Mirror, 84(3), 278-290. doi:10.1080/00253359.1998.10656699
6. Firges, P. (2017) French revolutionaries in the Ottoman Empire : diplomacy, political culture, and the limiting of universal revolution, 1792-1798.
7. Ginio, E. a. P., Elie (Ed.) (2014) The Ottoman Middle East, Studies in Honor of Amnon Cohen (Vol. 55). Netherlands: Brill.com.
8. Gümüş, Ş. Ö. (2013) Napolyon Un Misir I Sırasında Osmanli Topraklarindaki Fransizlar. The Pursuit of History-International Periodical for History and Social Research(9), pp249-278. Retrieved from https://docplayer.biz.tr/10593203-Napolyon-un-misir-i-isgali-sirasinda-osmanli-topraklarindaki-fransizlar-senay-ozdemir-gumus.html
9. Gunes, M. N. (2013-2014) 'The Economic Condition of Egypt in the 18th Century AD'. Rosetta, 15(5), pp 86-92. Retrieved from http://www.rosetta.bham.ac.uk/issues/issue-15-supp.html
10. Hale, W. M. (2013) Turkish Foreign Policy Since 1774: Routledge.
11. Hargreaves-Mawdsley, W. N. (1973) Spain under the Bourbons, 1700-1833; a collection of documents. Edited and translated with a critical introd. by W. N. Hargreaves-Mawdsley. [London]: Macmillan.
12. Harrison, J. (1806) Life of the Right Honourable Horatio, Lord Viscount Nelson. Vol. 1. Vol. 1. London: Ranelagh Press.
13. Henty, G. A., & Rainey, W. (1899) At Aboukir and Acre: A Story of Napoleon's Invasion of Egypt: Blackie.
14. Hershlag, Z. Y. (1980) Introduction to the Modern Economic History of the Middle East: Brill.
15. Ingram, E. (1973) A preview of the great game in Asia—I: the British occupation of Perim and Aden in 1799. Middle Eastern Studies, 9(1), 3-18. doi:10.1080/00263207308700224
16. Ingram, E. (1995) The Geopolitics of the First British Expedition to Egypt - IV: Occupation and Withdrawal, 1801-3. Middle Eastern Studies, 31(2), 317-346. Retrieved from http://www.jstor.org/stable/4283719
17. Karal, E. Z. (1999) Retrieved from https://www.e-kitaphavuzu.com/kitap/enver-ziya-karal-osmanli-tarihi-5-cilt-kitabi-indir.html
18. Lockhart, J. G. (1835) The History of Napoleon Buonaparte: Harper & brothers.
19. Neely, S. (2008). A Concise History of the French Revolution: Rowman & Littlefield Publishers.
20. Petry, C. F. D. M. W. C. U. P. (1998) The Cambridge history of Egypt. 2. Retrieved from http://histories.cambridge.org/collection?id=set_cambridge_history_egypt

داگیرکەریا فەرنسی لسەر مسرێ وپەیدابوونا هەڤپەیمانا عوسمانی –ڕوسی_ بەریتانی1798_1799ز

پوختە:

داگیرکەریا فەرنسی بو مسرێ ل سالا 1798ز ,قوناغەك ژقوناغێن ناکوکیێ دناڤبەرا هێزین ئەورپی بو ژبو ب دە ستڤە ئینانا ناوجەیێن دەولەتا عوسمانی ,یان ژی بو دوپاتکرنا دەستهەلاتاخو ل وان ناوجەیان,وهاتەناسکرن ب ناڤ (پرسار روژهەلات).وهەروسا هندەك دیروك نڤیس دبین نکو داگیرکرنا فەرنسا بومسرێ دەستپیکا پرسا روژهەلات بو(Brown,1984,pp25–26) .ئەڤێ داگیرکرنێ کارڤەدانێن راستەوخو ژ سێ ئالیان دیڤخوهئلات ئەوژی:دەولەتا عوسمانی کو خودانا دەستهەلاتدارێی بوو ل مسرێ, وروسیا قەیسەریە وبەریتانیا.جنگو ڤێ رویدانا دژی بەرژەوندیا ڤان هەردوو وەلاتابو وزێدەباری دژیەتیا ڤان هەردوو وەلاتا (روسیا وبەریتانیا)بو شوڕشا فەرنسی وئەنجامێ کارڤە دانارستەوخو ڤپەیمانەك دناڤبەرا ڤان سێ دەولەتێن ناڤهاتی هات ئەنجامدان.

ئەڤ ڤەکولینە جەخت لســـەر شـــروڤەکرن وخواندنا ئەگەری پە یدابوونا هەڤپەیمانا عوسمانی–روســـی–بەریتانێ دکەت وگرنگیا ڤێ هەڤپەیمانێ بو عوسمانیان ل وی ســەردەمی,وئەڤ ڤەکولینە پیکدهێت ژ(تمهید) کورتیا داگیرکرنا فەرنسا بو مسرێ دیار دکەت وزێدەباری سێ تەوران ,تەوەرێ ئیکێ باس ل رولێ عوسمانیان ژ داگیرکرنا فەرەنسا بو مسرێ ل هاڤینا 1798ز,تەورێ دووێ کارڤە دانێن روسیا وبەریتانیا بەرامبەر داگیرکرنا فەرەنسا لسەرمسرێ.تەورێ سێ ژبو دیارکرنا پەیدابوونا هەڤپەیمانێ دناڤبەرا سێ دەولەتاندا.دڤێ ڤەکولینێ دا پ شت بە ست ل سەر ژئدەرێن سەرکی بێن زمانێ تورکی وروسی وعەربی وئینگلیزی هاتە کرن ,وژ وانا وکیومێنتیێن عوسمانی ژ ئەرشیفێ سەروکاتیا وەزیران ل ئیستەنبولێ.

پەیڤێن سەرکی: دەولەتا عوسمانی، شەڕێ ابو قیر، پونەپارت، روسیا قەیسەریا (روسیا تزاری)، بەریتانیا.

The French Invasion of Egypt and the Rise of Ottoman – Russian – British Alliance 1798-1799

Abstract:

The French invasion of Egypt in 1798 was an important historical event, not in the history of Egypt alone, but that of the Ottoman state and its relations with European states, especially Russia and Britain. The Ottoman state was concerned with many internal problems, and sultan Selim III (1789-1807) realized that his country needs an alliance with the enemies of France in Europe to get the French forces out of Egypt. The sultan's task was not difficult, because the French invasion of Egypt alarmed both Russia and Britain. Russia was concerned by the expansion of French influence in the Mediterranean and the Adriatic Sea, While Britain considered the French occupation of Egypt as a direct threat to British important colony in India. The Ottoman – Russian alliance concluded in December 1798, and the Ottoman – British alliance in January 1799. The last one was more important than the first alliance because the task of getting the French forces out of Egypt carried out by the Ottomans and British forces.

Keywords: Ottaman State-Battle of Abukir-Bonaparte-Tsarit Russia-Britain.